ISSN: 2706-6495

السنن الاجتماعية بالنسق السياسي (دراسة تحليلية بين مقدمة ابن خلدون وواقع المجتمع السعودي)

Social Laws within the Political System (An Analytical Study between Ibn Khaldun's Muqaddimah and the Reality of Saudi Society)

إعداد:

الباحثة/ خلود بنت محسن القثامي

باحثة دكتوراه علم اجتماع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية

Email: khloud.m.saad@gmail.com

الباحثة/ بيان بنت حامد الحربي

باحثة دكتوراه علم اجتماع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية

Email: Bayanhameeed@hotmail.com

الباحثة/ مها بنت عطا الله الروقي

باحثة دكتوراه علم اجتماع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية

Email: lamwrf1419@gmail.com

الدكتورة/ رجاء طه القحطاني

أستاذ علم الاجتماع المشارك، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية

الملخص:

شكل فكر ابن خلدون محورًا لفهم تطور الدول والمجتمعات لا سيما من خلال دراسته للعوامل التي تؤثر في قوة الدولة واستقرارها مثل العصبية الاجتماعية والبيئة الجغرافية للأقاليم وتنوع طبائع العمران، ومن هنا أصبح فكره أداةً لفهم تغيرات المجتمعات البشرية عبر العصور بما في ذلك تطبيق سننه وقوانينه على الواقع المعاصر، لذلك هدفت الدراسة إلى التعرف على السنن الاجتماعية التي وضعها ابن خلدون في النسق السياسي وتتمثل في: العصبية والملك، اختلاف الأقاليم يؤثر في اختلاف البشر طباعا وأخلاقا، الظلم مؤذن بخراب العمران. والكشف عن بعض التطبيقات المعاصرة لابن خلدون والتي تتمثل في: تحالف محمد بن سعود مع الشيخ محمد بن عبد الوهاب في تأسيس الدول السعودية الأولى، إقليم عسير واستخدامه للتضاريس الطبيعية كميزة دفاعية واستراتيجية، ورؤية المملكة العربية السعودية 2030م بتركيزها على الشفافية والمساءلة واجرائها في مكافحة الفساد. باستخدام المنهج الوصفي التحليلي وذلك من خلال اعتماد كتاب المقدمة لابن خلدون في تفسير النسق السياسي ودراسة بعض السنن الاجتماعية للمجتمع السعودي في مجال علم اجتماع السياسة، وقد أظهرت النتائج أن فكر ابن خلدون ليس فكرًا ماضيًا، بل هو نظرية فاعلة وقادرة على تفسير الواقع السياسي والاجتماعي للدول المعاصرة، وفي ضوء ما توصلت له الدراسة من نتائج قدمت الباحثات مجموعة من التوصيات المفيدة والمهمة.

الكلمات المفتاحية: ابن خلدون، الدولة السعودية، العصبية، الملك، الفساد

ISSN: 2706-6495

Social Laws within the Political System (An Analytical Study between Ibn Khaldun's Muqaddimah and the Reality of Saudi Society)

Khloud Mohsen Alquthami, Bayan Hamed AL-Harbi, Maha Atallah Abdelhadi Al-Ruqi, Dr. Rajaa Taha Alqahtani

PhD candidate in Sociology, Faculty of Arts and Humanities, King Abdulaziz University, Saudi Arabia[1,2,3]

Associate Professor of Sociology, Faculty of Arts and Humanities, King Abdulaziz University, Saudi Arabia[4]

Abstract:

Ibn Khaldun's thought formed a cornerstone for understanding the development of states and societies, particularly through his study of factors influencing state power and stability, such as social solidarity (asabiyyah), the geographical environment of regions, and the diversity of urban characteristics. From this, his thought became a tool for understanding the changes in human societies across ages, including the application of his laws and principles to contemporary reality. Therefore, the study aimed to identify the social principles established by Ibn Khaldun within the political system, which include: asabiyyah and kingship, the influence of regional differences on human temperaments and morals, and injustice leading to the ruin of civilization. It also aimed to reveal some contemporary applications of Ibn Khaldun's ideas, such as: the alliance of Muhammad bin Saud with Sheikh Muhammad bin Abdul Wahhab in establishing the First Saudi State, the Asir region and its use of natural terrain as a defensive and strategic advantage, and the Saudi Vision 2030 with its focus on transparency, accountability, and anti-corruption measures. This was achieved using a descriptive analytical approach, by relying on Ibn Khaldun's "Muqaddimah" to interpret the political system and study some social principles of Saudi society in the field of political sociology. The results showed that Ibn Khaldun's thought is not a relic of the past, but rather an active theory capable of interpreting the political and social reality of contemporary states, In light of the study's findings, the researchers presented a set of useful and important recommendations.

Keywords: Ibn Khaldun, Saudi State, Asabiyyah, Sovereignty, Corruption

ISSN: 2706-6495

1. المقدمة:

أَبُو زَيْدٍ وَلِيُّ الدِّيْنِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ مُحَمَّدِ ابنِ خَلْدُونَ الحَضْرَمِيُّ الإِشْبِيلِيُّ / العلامة المسلم الجليل الذي تنحدر جذوره إلى إحدى قبائل حضرموت و لكن استوطنت الأندلس و بعد توسع النصارى في احتلال الإمارات الإسلامية هاجرت أسرة ابن خلدون من أشبيلية إلى تونس حيث ولد عام (732- 808 هـ) وتلقى علومه على يد والده وعلماء تونس، وتنقل بعدها في البلاد الإسلامية من شمال أفريقيا إلى الأندلس ثم بلاد الشام والحجاز حتى أستقر في السنوات الأخيرة في مصر وتوفي فيها عام (1332- 1406 م)، وقد تناول ابن خلدون سيرته الذاتية في كتاب العبر تحت عنوان «التعريف بابن خلدون ورحلته غربًا وشرقًا» (العصيمي، 2023).

وتعد موسوعته الشهيرة «العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن صاحبهم من ذوي السلطان الأكبر» والمكونة من سبع مجلدات، تضمنت المقدمة في الجزء الأول والذي تناول فيه العلم الجديد الذي أسسه " علم العمران البشري" والسنن الاجتماعية التي توصل إليها حول كل جانب من جوانب الحياة. أما بقية الأجزاء الستة فتعد كتاباً تاريخياً موسوعيا تناول تاريخ العالم منذ بدء الخليقة وحتى زمن ابن خلدون في القرن الرابع عشر (العصيمي، 2023).

كان ابن خلدون فيلسوفًا وعالمًا اجتماعيًا وسياسيًا متمرسًا بشؤون الدولة والمجتمع، تقلب في السياسة لسنواتٍ طوال، وعايش أوضاع العرب في أطوار مدها وجزرها، وتشرب بالثقافة العربية الإسلامية، كما اطلع على العلوم والمعارف اليونانية والفارسية والهندية وغيرها من العلوم الأخرى (عرابي، 1981) و قد عرف عصر ابن خلدون صراعاتٍ اجتماعية وسياسية متعددة، لذلك تناول في كتابه «المقدمة» نشأة المجتمع وارتقائه وانهياره والقوانين التاريخية المتحكمة في المسيرة الاجتماعية، معتمدًا في ذلك على المنهج التاريخي التحليلي والمنهج المقارن وعلى تجاربه الخاصة، واضعًا بذلك القواعد المنهجية والعلمية لعلم الاجتماع، ومؤكدًا على عملية التغير الاجتماعي وحتمية تقدم المجتمع الإنساني (عرابي، 1981).

كانت آراء ابن خلدون ولا تزال مثيرة للاهتمام في جوانبها المختلفة، وخاصةً جانبين هما: الجانب الفكري والثقافي، والجانب السياسي، حيث تتميز أفكاره ونظرياته بأنها صالحة لكل زمان. وكما أشار البياض (2025) إلى أن الخلفية الدينية لابن خلدون كعلامة مسلم حفظ القرآن والأحاديث النبوية فقد تميز ابن خلدون بتوظيف النصوص الدينية في شرح وفهم الحياة الاجتماعية والوصول إلى السنن القابلة للتطبيق عند دراسة المجتمعات المعاصرة.

وتنطلق هذه الدراسة من منظور سوسيولوجي يسعى إلى تفكيك السنن الاجتماعية عند ابن خلدون كما تتجلى في النسق السياسي لمقدمته، بوصفها إطارًا تفسيريًا لفهم آليات تشكّل السلطة واستمرارها وتحولها داخل البنى الاجتماعية. وتهدف الدراسة إلى إبراز البعد الدينامي لهذه السنن وقدرتها على تفسير التفاعلات الاجتماعية المعاصرة، من خلال مقارنتها بواقع المجتمع السعودي، وذلك عبر تحليل عدد من الظواهر السوسيولوجية بالنسق السياسي، وفي مقدمتها العصبية والملك باعتبارهما محددَين لبناء السلطة، ودور الأقاليم الجغرافية في تشكيل النسق الاجتماعي والسياسي، إضافة إلى مقاربة ظاهرة مكافحة الفساد بوصفها آلية لضبط العلاقات الاجتماعية وتعزيز التماسك البنيوي للمجتمع. وتسعى الدراسة بذلك إلى إعادة توظيف الفكر الخلدوني كأداة تحليلية لفهم التحولات الاجتماعية في السياق السعودي المعاصر.

1.1. مشكلة الدراسة:

شكل فكر ابن خلدون محورًا لفهم تطور الدول والمجتمعات لا سيما من خلال دراسته للعوامل التي تؤثر في قوة الدولة واستقرارها مثل العصبية الاجتماعية والبيئة الجغرافية للأقاليم وتنوع طبائع العمران، ومن هنا أصبح فكره أداةً لفهم تغيرات

المجتمعات البشرية عبر العصور بما في ذلك تطبيق سننه وقوانينه على الواقع المعاصر ورغم المكانة العلمية التي حظيت بها سنن وقوانين ابن خلدون في تفسير قيام الدولة وعمرانها أو سقوطها، إلا أن تحليلها وتطبيقها على المجتمعات المعاصرة لايزال محدودًا، وتتجلى هذه الإشكالية بوضوح في حالة المجتمع السعودي، الذي شهد تحولات اجتماعية وسياسية عميقة منذ نشأة الدولة السعودية الأولى وصولًا إلى المرحلة المعاصرة، الأمر الذي يثير تساؤلات حول مدى صلاحية السنن الخلدونية، ولا سيما تلك المرتبطة بالنسق السياسي، لتفسير هذه التحولات وفهم آليات التماسك الاجتماعي واستقرار السلطة.

وانطلاقًا من هذه الفجوة المعرفية، تتمحور مشكلة الدراسة في الحاجة إلى إعادة قراءة السنن الاجتماعية التي صاغها ابن خلدون ضمن النسق السياسي لمقدمته، قراءة سوسيولوجية تحليلية تتجاوز الطابع الوصفي، وتسعى إلى اختبار قابليتها للتطبيق على الظواهر الاجتماعية والسياسية المعاصرة في المجتمع السعودي. وتتبلور المشكلة البحثية في التساؤل الرئيس الآتي: ما السنن الاجتماعية التي وضعها ابن خلدون، ولا سيما في النسق السياسي، وما مدى قدرتها على تفسير بعض الظواهر الاجتماعية المعاصرة في المجتمع السعودي؟

2.1. تساؤلات الدراسة:

1. ما السنن الاجتماعية التي وضعها ابن خلدون في النسق السياسي المتعلقة بالعصبية والملك ودورها في الاستقرار السياسي وتعزيز مكانتها؟
2. ما السنن الاجتماعية التي وضعها ابن خلدون في النسق السياسي المتعلقة الأقاليم الجغرافية وتأثيراتها الاجتماعية والسياسية؟
3. ما السنن الاجتماعية التي وضعها ابن خلدون في النسق السياسي المتعلقة بالظلم ودوره في تحقيق الاستقرار السياسي والاجتماعي؟
4. ما دور العصبية كما صاغها ابن خلدون كأحد السنن الاجتماعية في تفسير تأسيس الدولة السعودية وتشكل بنيتها السياسية والاجتماعية؟
5. ما دور العامل الجغرافي كأحد السنن الاجتماعية للنسق السياسي عند ابن خلدون كعامل دفاعي واستراتيجي لأقليم عسير بالمملكة العربية السعودية؟
6. كيف تفسر السنن الاجتماعية الخاصة بالظلم كمؤذن بخراب العمران عند ابن خلدون نهج المملكة اليوم في برامج النزاهة ومكافحة الفساد؟

3.1. أهمية الدراسة:

تتمثل الأهمية العلمية لهذه الدراسة في تعميق الفهم السوسيولوجي للفكر الخلدوني عبر إعادة قراءة السنن الاجتماعية في النسق السياسي لمقدمة ابن خلدون بوصفها إطارًا تحليليًا قابلًا للتطبيق على التحولات الاجتماعية والسياسية المعاصرة. كما تسهم في سد فجوة معرفية ناتجة عن محدودية الدراسات التطبيقية للسنن الخلدونية، ولا سيما في المجتمع السعودي المعاصر. كما تساهم هذه الدراسة في تعزيز التكامل بين التراث الفكري الإسلامي والتحليل الاجتماعي الحديث. وتثري الدراسة علم الاجتماع السياسي بمنظور معرفي أصيل من خلال توظيف مفاهيم العصبية والملك وتأثير المجال الجغرافي في تفسير ديناميات السلطة والتماسك الاجتماعي. وبالتالي تسهم هذه الدراسة في توسيع آفاق البحث العلمي وتطوير مقاربات تحليلية منبثقة من الخصوصية الحضارية للمجتمعات العربية. ومساهمة في تطوير رؤية إسلامية عربية تنظيرية.

ISSN: 2706-6495

وتتمثل الأهمية العملية للدراسة في توظيف السنن الاجتماعية لابن خلدون لفهم الواقع الاجتماعي والسياسي للمجتمع السعودي، بما يسهم في دعم صانعي القرار وتعزيز الاستقرار والتماسك الاجتماعي. وترتبط دراستنا هذه بأهداف رؤية المملكة 2030 من خلال تعميق الوعي بالعوامل البنيوية المؤثرة في بناء الدولة وتعزيز الحوكمة الرشيدة، وترسيخ قيم النزاهة والشفافية والمسؤولية الاجتماعية. كما تسهم نتائج الدراسة في تحليل ظاهرة الفساد بوصفها خللًا في النسق الاجتماعي، بما يعزز جهود مكافحته ويدعم مسار التنمية المستدامة والإصلاح المؤسسي.

4.1. أهداف الدراسة:

أولاً: الكشف عن السنن الاجتماعية التي وضعها ابن خلدون في النسق السياسي والتي تسهم في الاستقرار الاجتماعي والسياسي للمجتمع؟

ثانياً: تطبيق السنن الاجتماعية للنسق السياسي عند ابن خلدون في تحليل بعض مكونات المجتمع السعودي ودورها في تحقيق الاستقرار السياسي والاجتماعي.

5.1. المنهجية:

اعتمدت الدراسة على المنهجِ الوصفي التحليلي، وذلك من خلال تحليل كتاب المقدمة لابن خلدون في تفسير النسق السياسي والتعرف على أبرز السنن التي توصل لها في هذا المجال. ثم العمل على تطبيق ثلاثة من السنن على بعض مكونات المجتمع السعودي وتحليلها. وقد تمت الاستعانة بعدد من الكتب المتخصصة في تاريخ الدولة السعودية والقبائل، والأقاليم الجغرافية. وجرى اعتماد معايير لتحديد محاور الدراسة، حيث تم تضمين دراسة كلًا من تحالف محمد بن سعود مع الشيخ محمد بن عبد الوهاب في تأسيس الدول السعودية الأولى، إقليم عسير واستخدامه للتضاريس الطبيعية كميزة دفاعية واستراتيجية، إضافةً إلى نهج المملكة العربية السعودية في مكافحة الفساد (نزاهة) من منظور اجتماعي.

2. الدراسات السابقة:

شكلت نظريات ابن خلدون مفاهيم محورية "كالعصبية" و"الوازع" وهي أساس للعديد من الدراسات الاجتماعية المعاصرة التي تسعى إلى تحليل آليات قيام الدولة واستقرار المجتمعات وتنظيماتها، فهناك عدد من الدراسات التي تناولت هذا المفهوم، ولكن من زوايا مختلفة تتكامل في تحليلها وتتباين في تطبيقها.

فركزت دراسة بو مهدي (2020) على التحليل الشامل لحياة الدولة كما يصورها ابن خلدون وانطلقت في تفسير مفهوم العصبية باعتبارها القوة الدافعة والأساس الذي لا غنى عنه لقيام الملك والغلبة، مؤكد على العلاقة الجدلية بين قوة العصبية وأطوار الدولة الخمسة، وكيف أن فساد العصبية وانغماسها في الترف يؤدي حتماً إلى زوال الدولة، وتعد هذه الدراسة مرجع للفهم المتكامل لنشأة الدول وسقوطها عند ابن خلدون. بينما جاءت دراسة بو حفص وبطاهر(2024) من تحليل العصبية كقوة غلبة وبروز مفهوم آخر، هو مفهوم الوازع الاجتماعي فتميزت هذه الدراسة بتركيزها على التمييز بين أشكال الوازع، حيث فصلت بين الوازع الداخلي (المعنوي) المتمثل في سلطة شيوخ القبيلة والأعراف، والوازع الخارجي (المادي) المتمثل في القوة القاهرة والغلبة، وتبرز الدراسة أن الوازع هو الشرط الضروري الذي يحافظ على كيان المجتمع من التعديات الداخلية والخارجية وهو القوة التنظيمية التي تسبق وتوازي عمل العصبية مما يجعلها تنتقل من حالة مجتمع قبلي إلى تأسيس دولة.

ومن خلال دراسة بومهدي (2020) ودراسة بو حفص وبطاهر (2024) نجد أن هناك تركيز على الجانب الاجتماعي السياسي في نظرية ابن خلدون وهذا يختلف عن دراسة السنوسي (2024) حيث توسع نطاق النظرية لتشمل المجال الفقهي

المعاصر، فبعد أن أكدت الدراسة على أن العصبية هي رابطة اجتماعية لازمة للملك وشرط لقيام الدول واستدامة سلطانها وأنها ضرورية للدعوة الدينية، اتجهت إلى تطبيقها على قضية فقهية خلافية وهي من شروط من يتولى أمر المسلمين، بذلك خلصت الدراسة إلى أن رؤية ابن خلدون في فهم العصبية ودورها الحضاري كان له أثر في مخالفته لرأي جمهور الفقهاء في اشتراط نسب القرشية للأمام، مفسراً أن هذا الشرط كان مرتبطاً بوجود العصبية القوية في قريش أنداك، ومؤكدا أن الشرط الفعلي لتولي أمر المسلمين هو امتلاك العصبية والغلبة القادرة على حماية الدولة بغض النظر عن النسب .

تتفق الدراسات التي تناولت العامل الجغرافي على وجود علاقة تأثير متبادل بين البيئة والمجتمع، حيث شكلت الجغرافيا إطار مؤثر في تشكيل السلوك الإنساني وأنماط التنظيم الاجتماعي والسياسي ولذلك ركزت دراسة الكيهاري (2023) على تحليل العامل الجغرافي في فكر ابن خلدون، و أن الجغرافيا تمثل الأساس الذي يؤثر في أخلاق الإنسان ونمط عيشه، ونظمه السياسية والدينية، و قد خلصت الدراسة إلى أن اعتدال الأقاليم الجغرافية يؤدي إلى اعتداء الأحوال البشر، مما يهيئهم لتقبل الوازع الديني والاجتماعي، وبذلك يجعل الجغرافيا عاملاً منظماً للمجتمع و مؤثرا في الفكر والسلوك و من ثم قاعدة أساسية لقيام الدولة، وجاءت دراسة مسعود (2021) متفقة مع ما قدمته دراسة الكيهاري (2023) إذ أكدت أن فكر ابن خلدون يركز على الجغرافية البيئية، ويرى في العامل الجغرافي هو المحدد الأساسي لطبائع الشعوب وأخلاقها وألوانها، وأن تأثيره يمتد ليشمل نشأة العمران البشري والعصبية . بينما تناولت دراسة الدردساوي (2025) مفهوم الجغرافيا السياسية من منظور معاصر، فهدفت إلى تتبع تطور هذا المفهوم من تركيزه التقليدي على الدولة والحدود والتوسع العسكري إلى مفهوم أكثر شمولية تناول فيه العلاقات الدولية وتأثير العناصر الاقتصادية والاجتماعية في العمليات السياسية، وتوضح الدراسة أن التحولات التي شهدها مفهوم الجغرافيا السياسية ارتبط بشكل وثيق نتيجة للصراعات والحروب.

كما تقدم الدراسات إطاراً متكاملاً لفهم دور الأخلاق في فكر ابن خلدون، حيث ركزت دراسة بلعالية (2020) على أن الأخلاق محدد أساسي لاستمرار العمران أو سقوط الدول، وإنها ترتبط ارتبط قوي بالعصبية، حيث تعد الأخلاق الفاضلة داعم لقوة العصبية وتماسكها، فتلخص الدراسة إلى أن الأخلاق حاضرة في كل مراحل تطور السلطة. في حين تناولت دراسة الشميري (2022) على أن الظلم عامل هدم ويؤدي إلى خراب العمران وهذا توافق في الرؤى بين ابن خلدون وبين الشرعية، فسقوط الدول وخراب العمران هو نتيجة حتمية للظلم، تتميز هذه الدراسة بتركيزها على الآثار المدمرة للظلم على كافة أجزاء المجتمع، مما يبرز الدور العدل كشرط لاستمرار الملك. كما جاءت دراسة المقصود (2022) لتقدم تطبيق على الفساد المؤسسي في القضاء، حيث رصدت المفاسد في القضاء في العصر المملوكي، وأكد أن ما رصده ابن خلدون من فساد كان تطبيق لرؤيته حول غياب العدل وانهيار الأخلاق في المؤسسات القضائية، فيؤدي ذلك إلى ضياع الحقوق وانهيار المجتمع، وتبرز هذه الدراسة أن فساد القضاء يمثل أحد أبرز مظاهر الظلم التي تؤدي إلى زوال الدولة، وذلك ارتباط مع دراسة الشميري (2022) حول الظلم وخراب العمران.

3. الإطار النظري:

تحليل السنن الاجتماعية في النسق السياسي لابن خلدون

السنة الأولى: العصبية والملك:

نظرية العصبية عند ابن خلدون أحد أهم السنن والقوانين التي بنيت عليه مباحثه الاجتماعية والسياسية، فهي نواة لفهم الروابط في العلاقات بين الجماعات والسلطة، وبين الحاكم والمحكوم، وبين البادية والحضر، فالعصبية عند ابن خلدون ليست

مجرد قاعدة واحدة أو فكرة فقط، بل نظام متكامل من قوانين ومبادئ شكلت شبكة معقدة من العلاقات الاجتماعية والسياسية، والتي تظهر ارتباط في قوة الجماعة ومن ثم استمرار الدولة واستقرارها وبقاءها أو انهيارها. فلا يمكن فهم أي جانب للعصبية بمعزل عن باقي الجوانب؛ فملامحها تتوزع في أكثر من قانون من قوانينه، فهي ليست فكرة واحدة أو مبدأً مبتورًا يمكن فصله عن غيره، بل منظومة فكرية متكاملة تتشارك عناصرها لتكون بناء نظري متكامل وشامل.

وارتبط مفهوم العصبية ارتباطًا وثيقاً بالمجال السياسي، فهو المفهوم القائم على قدرة صمود الجماعة على مواجهة التحديات الداخلية والخارجية، ومدى تحملها وتماسكها في مواجهة الضغوط الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، بالإضافةِ إلى مقدرتها في الدفاعِ عن نفسها ضد العدوان الداخلي والخارجي، فربط ابن خلدون بين قوة العصبية وبين موقعها الجغرافي وطبيعة البيئة التي تسكنها، فالمدن المتحضرة غالبًا ما تُضعف العصبية بسبب الانغماس في الحياة المرفهة، بينما البادية ومرتادي المناطق القاسية يعززون هذه الروابط الطبيعية والقبلية.

بناء على ذلك، نجد أن العصبية تُعد مدخلاً اساسيًا لدراسة المنظومة السياسية، لذلك لابد في البداية فهم ما تعنيه العصبية عند ابن خلدون بوصفها الأساس الذي تقوم عليه دراسة قيام المجتمعات وتطورها وبقاءها. ولكي نتعرف على العصبية في مفهومها اللغوي لابد من العودة إلى المعاجم اللغوية ففي لسان العرب لابن منظور ورد أن العصبة: هي الأقارب من جهة الأب لأنهم يعصبونه، ويعتصب بهم، أي يحيطون به ويشتد بهم، وفي الحديث: ليس منا من دعا إلى عصبية أو قاتل عصبية، العصبية والتعصب: المحاماة والمدافعة، وتعصبنا له ومعه: نصرناه، وعصبة الرجل: قومه الذين ينعصبون له، وعصب القوم: خيارهم وعصبوا به: اجتمعوا حوله" (ابن منظور، 1966) وعليه يفهم من هذا المعنى أن المتعصب للشيء هو الميل الشديد إليه، كما أن التعصب يعني التجمع، ولكنه لا يعني التجمع الحسي، بل التجمع "المعنوي" وبالتالي فهو شعور الفرد بأنه جزء لا يتجزأ من العصبة التي ينتمي إليها، بل هو استعداد دائم في نفس الوقت يدفعه إلى تجسيم هذا الانتماء إلى العصبة بفنائه فيها فناءا كليا، إن الفرد في هذه الحالة يفقد شخصيته، بل فرديته، ويتقمص شخصية العصبة (الجابري، 1994، 168) وحسب ما يرى مغربي " فكلمة العصبية كلمة عربية الأصل، مشتقة من لفظ "عصب" الذي يعني حرفيا، ربط، تجمع، شد، أحاط، اجتمع، ثم أن عدد من الكلمات المشتقة من نفس الأصل تضمن نفس الفكرة: عصب (جعل شخصا على رأس حزب)، تعصب (عصب رأسه بعصابة، كان متعصبا) انعصب (أصبح قاسيا)، عصب (عمامة)، عصب (نخبة قبلية) عصابة (جماعة من الرجال) .... الخ " (مغربي، 1988، 145).

أما العصبية في فكر ابن خلدون هي " صلة الرحم طبيعي في البشر إلاّ في الأقل، و من صلتها النعرة على ذوي القرى وأهل الأرحام أن ينالهم ضيم، أو تصيبهم هلكة، فإن القريب يجد في نفسه غضاضة من ظلم قريبه أو العداء عليه، و يود لو يحول بينه و بين ما المشترك، لمعاطب والمهالك نزعة طبيعية في البشر مذ كانوا، فإذا كان النسب المتواصل بين المتناصيرين قريبا جدا بحيث حصل به الاتحاد و الالتحام كانت الوصلة ظاهرة، فاستدعت ذلك بمجردها ووضوحها، وإذا بعد النسب بعض الشيء فربما تنوسي بعضها و يبقى منها شهرة فتحمل على النصرة لذوي نسبة الأمر المشهور منه، فرارا من الغضاضة التي يتوهمها في نفسه من ظلم من هو منسوب إليه بوجه " (ابن خلدون، 1965، 226) فيوضح ابن خلدون أن العصبية تمثل الأساس الطبيعي لتماسك الجماعات البشرية، وهي التي تمنحهم الدفاع المشترك، وما يدل على ذلك؛ أن اللغة العربية تسمِّي ذوي القربى باسم "العصبة"، وهذه الكلمة مشتقة من "العصب" بمعنى الشد والربط، وكلمة "العصابة" بمعنى «الرابطة»، كما أنها تسمِّي الخصال والأفعال الناجمة عن ذلك من تعاضد وتشيُّع باسم «العصبية» كما ذكر انفاً. (مهدي،2020) وانطلاقاً من

ISSN: 2706-6495

هذا المفهوم اللغوي والاجتماعي للعصبية يتضح أنه لا يمثل مجرد رابطة قرابة أو تعاضد معنوي، بل هي الأساس الذي يقوم عليه الاجتماع الإنساني، ومن ثم الانتقال من الاجتماع الطبيعي إلى ضرورة وجود وازع يمهد لبداية تشكل السلطان والملك عند ابن خلدون.

فالإنسان مدني بطبعه لا يستطيع العيش دون اجتماع وهذه النزعة حتى وإن كانت طبيعية فيه فهي تدفعه إليها حاجته، للحصول على معاشه لأنه لا يستطيع أن يحققها دون وجود الآخرين، فالحاجات الإنسانية تلعب دورًا بارزًا في نشأةِ العمران البشري وتطوره وبقاء الإنسان، ومن ثم الجماعات البشرية ككل، ولكن الإنسان في نفس الوقت ميّال إلى حب التملك والسيطرة ولهذا تحدث المنازعات والاختلافات بين بني البشر. (مهدي، 2020) وهذا ما أكده ابن خلدون حين قال "ثم إن الاجتماع إذا حصل للبشر كما قررناه وتم عمران العالم بهم فلابد من وازع يدفع بعضهم عن بعض لما في طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم "(ابن خلدون، 1965، 244) ومن خلال البحث في سنن ابن خلدون نجد أن هناك مسلمات تثبت أهمية قيام دولة وهي:

- الإنسان اجتماعي بطبعه
- العمران لا يتحقق إلاّ بالاجتماع
- أداة الوازع هي القهر، والقوة، والغلبة، والسلطان. (مهدي،2020).

ومن خلال هذا الاجتماع الطبيعي بين البشر تنشأ الحاجة إلى تنظيم العلاقة بينهم وضبط السلوك، واستنادٌ على ذلك يرى ابن خلدون أن الملك والدولة إنما تحصل بالقبيلة والعصبية، بوجود حاكم واحد ينفرد بالحكم "طبيعة الملك الانفراد بالمجد"(ابن خلدون، 1979) فلا يمكن أن يتحقق النظام إلا بوجود فرد يحكم بمعاونة عصبيته وقبيلته، ويؤكد على بقاء الملك بيد حاكم واحد، لأنه تعدد الحكام يودى الى فوضى و نزاع، و سبب النزاع هو ما يشمل عليه المنصب من خيرات موضح ذلك من خلال فكرته أن "الملك منصب شريف يشمل على جميع الخيرات الدنيوية، والشهوات البدنية والملاذ النفسانية، فيقع فيه التنافس غالبًا وقل إن يسلمه أحد لصاحبه إلا إذا أغلب عليه، فتقع المنازعة وتفضى إلى الحرب والقتال والمغالبة، كما أن الأوطان كثيرة القبائل والعصائب قل إن تستحكم فيها؛ والسبب في ذلك اختلاف الآراء فيكثر الانتقاض على الدولة والخروج عليها " (ابن خلدون، 1979) ونتيجة لما يحمله هذا المنصب من خيرات ومجد لا يقتصر تأثيرها على الحاكم فقط ، بل يمتد إلى قبيلته فتتأثر بعوامل القوة والمكاسب والمكانة فينشأ بينها صراع دائم على الموارد، ويؤدي إلى تنافس و قتال، وبالتالي تضعف الوحدة الاجتماعية ويضعف استقرار الدولة ويجعل استمرارها معرضاً للخطر، لذلك فرض ابن خلدون ان الدولة قد تسقط إذ لم تتمكن عصبية واحدة من فرض السيطرة وتحقيق الغلبة على باقي العصائب و القبائل .

إضافة إلى وجود أسباب أخرى قد تؤدي إلى سقوط الدولة كما يوضحه ابن خلدون وهو انغماس الأجيال المتعاقبة في نعيم ورفاهية العيش مما يجعلها تنسيهم العصبية التي قامت عليها الدولة في بدايتها "لأنهم نسوا عهد تمهيد الدولة منذ أولها، وطال أمد مَرْابَهم في الحضارة، وتعاقبهم فيها جيلاً بعد جيل، فلا يعرفون ما فعل الله أول الدولة، إنما يدركون أصحاب الدولة، وقد استحكمت صبغتهم ووقع التسليم لهم، والاستغناء عن العصبية في تمهيد أمرهم، ولا يعرفون كيف كان الأمر من أوله، وما لقي أولهم من المتاعب دونه، وخصوصًا أهل الأندلس في نسيان هذه العصبية وأثرها لطول الأمد، واستغنائهم في الغالب عن قوة العصبية بما تلاشى وطنهم وخلا من العصائب، والله قادر على ما يشاء" (ابن خلدون، 2004، 201). يشير ابن خلدون إلى أن الاستقرار والحياة المريحة تفقد الأجيال شعورهم بالاعتماد على العصبية والقوة الجماعية، وتقلل لديهم القدرة على مواجهة التحديات الداخلية والخارجية بسبب الترف والحضارة.

لذلك العصبية هي من تمنح القوة للجماعة وتحافظ على تماسكها واستمرارها، وهي الرابط الوحيد الذي يضمن الدفاع والتماسك للعرب، وأنهم "أبعد الأمم عن سياسة الملك" بسبب نمط حياتهم البدوية، فالبداوة والقفر والشظف وخشونة العيش جعلتهم مستقلين عن غيرهم ومعتادين على مواجهة الصعاب بأنفسهم، يصعب انقياد بعضهم لبعض "والسبب في ذلك أنهم أكثر بداوة من سائر الأمم، وأبعد مجالاً في القفر، وأغنى عن حاجات التلول وحبوبها؛ لاعتيادهم الشظف وخشونة العيش، فاستغنوا عن غيرهم، فصعب انقياد بعضهم لبعض لإتلافهم ذلك وللتوحش أيضاً، ورئيسهم محتاج إليهم غالبًا للعصبية التي بها المدافعة، فكان مضطرًا إلى إحسان ملكتهم وترك مراغمتهم، لئلا يختل عليه شأن عصبيته، فيكون فيها هلاكه وهلاكهم، وسياسة الملك والسلطان تقتضي أن يكون السائس وازعًا بالقهر وإلا لم تستقم سياسته" (ابن خلدون، 2004، 196).

ومن أسباب بعدهم عن الملك هو طبيعتهم وأخذهم ما في أيدي الناس خاصة من المكاسب المالية، والتجافي عما سوى ذلك من الأحكام وهذا يحدث "إذا ملكوا أمة من الأمم جعلوا غاية ملكهم الانتفاع بأخذ ما في أيديهم وتركوا ما سوى ذلك من الأحكام بينهم، وربما جعلوا العقوبات على المفاسد في الأموال، حرصا على تكثير الجبايات وتحصيل الفوائد، فلا يكون ذلك وازعًا، وربما يكون باعثًا بحسب الأغراض الباعثة على المفاسد، واستهانة ما يعطى من ماله في جانب غرضه، فتنمو المفاسد بذلك ويقع تخرب العمران، فتبقى تلك الأمة كأنها في فوضى، فلا يستقيم لها عمران وتخرب سريعًا" (ابن خلدون، 2004، 197).

لذا العصبية وحدها لا تكفل للعرب الحكم، فهي قادرة فقط على تماسكهم وحماية جماعتهم، وهذا لا يعني أنها تصل بهم للملك والانقياد للحكم، إلا بأمر واحد وهو "لم يحصل للعرب الملك إلا بصبغة دينية من نبوة أو ولاية أو أثر عظيم من الدين على الجملة، فإذا كان الدين بالنبوة أو الولاية كان الوازع لهم من أنفسهم، وذهب خلق الكبر والمنافسة منهم، فسهل انقيادهم واجتماعهم، وذلك بما يشملهم من الدين المذهب للغلظة والأنفة، الوازع عن التحاسد والتنافس، فإذا كان فيهم النبي أو الولي الذي يبعثهم على القيام بأمر الله، ويذهب عنهم مذمومات الأخلاق ويأخذهم بمحمودها، ويؤلف كلمتهم لإظهار الحق، تم اجتماعهم وحصل لهم التغلب والملك، وهم مع ذلك أسرع الناس قبولا للحق والهدى؛ لسلامة طباعهم من عوج الملكات وبراءتها من ذميم الأخلاق، إلا ما كان من خلق التوحش القريب المعاناة المتهيئ لقبول الخير، ببقائه على الفطرة الأولى، وبعده عما ينطبع في النفوس من قبيح العوائد، وسوء الملكان" (ابن خلدون، 2004، 198) فالدين يعمل كالوازع الداخلي يوجههم ويقلل من الصفات السلبية مثل الكبر والمنافسة الفردية، ويقوي لديهم روح التعاون والاجتماع حول الهدف المشترك.

عندما يكون هناك **نبي أو ولي** يحثهم على القيام بأمر الله، فإن ذلك يذهب عنهم الأخلاق الذميمة ويغرس فيهم الأخلاق المحمودة، ويوحد كلمة الجماعة لإظهار الحق، فيصبح اجتماعهم وانقيادهم ممكنًا، وينتج عن ذلك تغلبهم وحصولهم على الملك، فإن ((كل مولود يولد على الفطرة)) كما ورد في الحديث، والدعوة الدينية من غير عصبية لا تتم؛ إذ لابد لكل أمرٍ تتحمله العامة من عصبية قوية، وفي الحديث الصحيح كما مر:" ما بعث الله نبيًا إلا في منعة من قومه" (الترمذي، حسن، 3127) وإذا كان هذا في الأنبياء وهم أولى الناس بخرق العوائد - فما ظنك بغيرهم ألا تخرق له العادة في الغلب بغير عصبية.

ويتضح أن العصبية الدينية تضيف بُعدًا جديدًا للدولة، يرفع قوتها ويحقق وحدة كلمتها، ويضمن استمرار السلطة، بينما العصبية القبلية وحدها قد تنجح في البداية لكنها لا تكفي لاستمرار الدولة دون دعم ديني يحميها ويؤلف قلوب الرعية.

- تطبيق سنة العصبية على تحالف محمد بن سعود مع الشيخ محمد بن عبد الوهاب في تأسيس الدول السعودية الأولى:

تطبيقًا على قانون ابن خلدون القائل: «أن العرب لا يحصل لهم الملك إلا بصبغة دينية من نبوة أو ولاية أو أثر عظيم من الدين على الجملة» (ابن خلدون، 1979، 126)، يظهر جليًا ما حصل في توحيد الدولة السعودية الأولى من خلال تحالف الإمام

محمد بن سعود مع الشيخ محمد بن عبد الوهاب، هذا التحالف لم يكن مجرد اتفاق سياسي، بل كان تطبيقًا عملي لمفهوم العصبية الدينية إذ أن الجمع بين القوة العسكرية للقبائل والعصبية الدينية للدين الإسلامي أسس لقاعدة متينة للدولة وجمع القلوب على هدف واحد، فتأسست الدولة السعودية الأولى تحت قيادة الإمام محمد بن سعود، الذي كان أميرًا لمدينة الدرعية في ذلك الوقت، فشهدت الدولة بدايتها من خلال تحالف الإمام محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب، فيما يعرف بتحالفٌ بميثاق الدرعية عام 1744م، وهو اتفاق سياسي وديني هدف إلى إقامة دولة بتطبيق الشريعة الإسلامية ونشر دعوة التوحيد (درينقة، 2018)، فميثاق الدرعية وحد القبائل المتفرقة وجعل وجهتهم إلى الحق واحدة، مما يوضح أن الصبغة الدينية تذهب بالتنافس والتحاسد الذي في أهل العصبية، وتضاعف قوتهم عبر التوجيه الديني والاستبصار بالأمر الإلهي، فكثرة القبائل وعددها لا يضاهي القوة الدينية "أن الاجتماع الديني يضاعف قوة العصبية بالاستبصار" (ابن خلدون، 1979،132)

كما إن "الدول عظيمة الملك في فكر ابن خلدون أصلها الدين إما من نبوة أو دعوة حق"؛ وذلك لأن "الملك إنما يحصل بالتغلب، والتغلب إنما يكون بالعصبية واتفاق الأهواء على المطالبة، وجمع القلوب وتأليفها إنما يكون بمعونة من الله في إقامة دينيه (ابن خلدون، 1979،132) لقوله تعالى: ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال:63] وهذا ينطبق على ميثاق الدرعية الذي كان ركيزة أساسية في توحيد الجهود بين الإمام محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب، إذا أسهم في تعزيز الهوية الدينية والوطنية وتوجيه المجتمع نحو قيم وأخلاق إسلامية أصيلة، ويرى ابن خلدون أن الملك منصب شريف تتوجه نحوه المطالبات ويحتاج إلى المدافعات، ولا يتم ذلك إلا من خلال العصبيات كما ذكرنا سابقًا.

ومن هذا المنطلق، تحقق التغلب والملك في الدولة السعودية الأولى بفضل العصبية الدينية التي جمعت القبائل حول الدعوة الإصلاحية، ويرى ابن خلدون أن "الولي الذي يبعثهم على القيام بأمر الله، ويذهب عنهم مذمومات الأخلاق ويألف كلمتهم لإظهار الحق يحصل له التغلب والملك» وكما هو الحال في مجتمع الدرعية، كما «البدو أسرع الناس قبولًا للحق والهدى لسلامة طباعهم من عوج الملكات وبراءتها من ذميم الأخلاق، إلا ما كان من خلق التوحش القريب المعاناة المتهيء لقبول الخير ببقائه على الفطرة الأولى، وبعده عما ينطبع في النفوس من قبيح العوائد وسوء الملكات "(ابن خلدون، 1979،127).

السنة الثانية: اختلاف الأقاليم يؤثر في اختلاف البشر طباعاً وأخلاقا:

تناول ابن خلدون حتمية الاجتماع الإنساني، وجغرافية العالم، وتأثير الجغرافيا في الأديان وأنواعها، وفي نصيب كل أمة من الأرض، إضافةً إلى بحثه في الأخلاق، والسيكولوجيا الاجتماعية، والبنية الجسدية للأمم، وحركتها الحضارية، وعند تأمل أفكاره نلاحظ تأكيده المتكرر على دور الجغرافيا والبيئة في تأسيس الفروق بين المجتمعات، إذ يرى أن العوامل الجغرافية تُعدّ المحرك الأساس لتغير المجتمعات، ولتبدّل خصائصها السلوكية والأخلاقية، كما أن لها أثراً بارزاً في اختلاف الأديان والحضارات (مراد، 2023)، ولكن هذا الاهتمام بالعامل الجغرافي و تأثيراته تمت صياغتها بشكل موضوعي بينما نجد انصار ما يطلق عليه "النظرية الجغرافية" في المجتمعات الغربية المعاصرة يقدم رؤية استعلائية تربط التقدم والحضارة بالمجتمعات شمال الكرة الأرضية لتميزها من حيث الموقع والمناخ المعتدل مقارنة ببقية دول جنوب وأقصى شمال الكرة الأرضية (ملحس، 2010). وهذه تفسيرات وصفت بالمتحيزة والعنصرية التي تنظر وتبرر للاستعمار الأوروبي. كما يتناول ابن خلدون موقفه النقدي من التفسيرات العرقية أو الأسطورية، حيث يُفنّد الآراء التي تُرجع اختلاف البشر إلى العرق أو الأصل والتي يطلق عليها اليوم "النظرية البيولوجية" والتي تتفق مع "النظرية الجغرافية" في التنظير للاستعمار الأوروبي وعنصرية العرق

الأبيض ضد بقية الأعراق و الشعوب على بقية الأعراق و الشعوب (ملحس، 2010)، بينما يؤكد ابن خلدون أن "التمايز بين الأمم إنما يعود إلى العوامل الطبيعية التي تحيط بالإنسان، كالإقليم والمناخ ونوعية الهواء ودرجات الخصب أو القحط"، ويرى أن هذه العوامل هي التي تؤثر في تكوين الإنسان الجسدي، ولونه، وطباعه، وسلوكه، ومن هنا يُبرز ابن خلدون أثر البيئة والجغرافيا في تشكيل السمات الأخلاقية والدينية للإنسان، ويجعلها العامل الأساس في تنوع المجتمعات واختلاف حضاراتها (ابن خلدون،2014، 394)

وبالانتقال الى الحركة التاريخية للمجتمعات، يؤكد ابن خلدون أن "البدو أقدم من الحضر وسابق عليه وإن البادية أصل العمران والأمصار ومدد لها، كما يؤكد أن البدو هم المقتصرون على الضروري في أحوالهم، العاجزون عما فوقه، وأن الحضر معتنون بحاجات الترف والكمال في أحوالهم وعوائدهم. ولا شك أن الضروري أقدم من الحاجي والكمالي وسابق عليه، لأن الضروري أصل والكمالي فرع ناشئ عنه، فالبدو أصل للمدن والحضر سابق عليهما، لأن أول مطالب لإنسان الضروري، ولا ينتهي إلى الكمال والترف إلا إذا كان الضروري حاصلا، فخشونة البداوة قبل رقة الحضارة" (ابن خلدون، 2014، 472) ولهذا يرى أن "أهل البدو أقرب إلى الشجاعة من أهل الحضر، والسبب في ذلك ان أهل الحضر ألقوا جنوبهم على مهاد الراحة والدعة، ووكلوا أمرهم في المدافعة عن أموالهم وأنفسهم إلى واليهم والحاكم الذي يسوسهم والحامية التي تولت حراستهم، واستناموا إلى الأسوار التي تحوطهم والحرز الذي يحول دونهم. وإن أهل البدو لتفردهم عن المجتمع، وتوحشهم في الضواحي، وبُعدهم عن الحامية، وانتباذهم عن الأسوار والأبواب، قائمون بالمدافعة عن أنفسهم، لا يكلونها إلى ولا يثقون فيها بغيرهم بالدفاع عن أنفسهم وأصبحوا على أُهبة الاستعداد دائمًا للدفاع عن أنفسهم في القفر والبيداء، وأصبح الناس خلقا ثابتا والشجاعة سجية عندهم. وإن أهل البدو أقرب الى الخير من أهل الحضر، ويرجع السبب في ذلك لأن الناس في أول أمرهم يكونون على الفطرة الأولى، ومتهيئين لقبول كل ما رد عليها، وينطبع فيها من خير أو شر وكذا صاحب الشر، إذا سبقت إليه عوائده" (ابن خلدون، 2014، 473)

والإقليم كما يعرفه الجغرافي الأمريكي (Teita ,1976) منظومة معقدة تتألف من منظومات ثانوية: طبيعية، واقتصادية، واجتماعية، وسياسية، ومن خلال التعريف نجد انعكاس البيئة الجغرافية في تشكيل الخصائص الاجتماعية لكل مجتمع وهذا ما يمكن ملاحظته عند تحليل طبيعة أقاليم المملكة العربية السعودية التي يغلب عليها النمط الهضابي الصحراوي، ونتيجةً لندرة الأمطار وقلة موارد المياه عمومًا، ظهر اتجاه نحو العزلة، وتمكين الخصائص المحلية، ورفض المؤثرات الأجنبية خاصة في نجد (أبو داود، ٢٠٠١) كما ساهمت التضاريس والمناخ القاسي في ضعف التواصل بين أقاليم البلاد المختلفة، مما أدى لظهور بعض صفات التميز الاجتماعي والثقافي، وصعوبة إقامة حكومة مركزية قوية في هذه المنطقة ذات الصفة الصحراوية (أبو داود، 2001، 32).

- تطبيق سنة تأثيرات العامل الجغرافي على إقليم عسير الجبلي بالمجتمع السعودي:

يظهر إقليم عسير نموذج واضح لسنة ابن خلدون **" أن اختلاف الأقاليم يؤدي إلى اختلاف الطبائع وأخلاقهم "** حيث لم يقتصر أثر البيئة الجغرافية الجبلية الوعرة على تشكيل المجال المكاني للمنطقة، بل امتد ليسهم في تكوين نمط معيشة خاص بسكانها انعكس عليهم بصورة مباشرة على الخصائص الأخلاقية والاجتماعية لسكانها.

فبعد سقوط الدولة السعودية الأولى وفي العام ذاته أصبحت عسير هي القوة الأخيرة المقاومة للعثمانيين في المنطقة، إلا أن أهل عسير تمكنوا من استعداد استقلالهم عام 1821 م، بقيادة ابن مسلط، ووفقاً لتفسيرات ابن خلدون فأن القبائل العربية الريفية

ISSN: 2706-6495

كانت تزداد قوة واستقلال في الفترات التي تضعف فيها السلطة المركزية بينما في الفترات التي تكون فيها الدولة قوية يكون من الصعب على القبائل الاحتفاظ باستقلالها.(Alqahtani,2012)

وعلى الرغم من ذلك أظهرت عسير قدرتها على مقاومة الحملات العثمانية المتكررة وذلك بسبب التضاريس القاسية التي شكلت حياة السكان وجعلتهم معتمدين على أنفسهم مما انعكس على صفاتهم الأخلاقية والدينية والاجتماعية الشديدة والقادرة على بسالة المقاومة والذي يتوافق مع ما ذهب إليه ابن خلدون حول تأثير البيئة على سلوكيات الشعوب وتشكل حضارتها. ويبرز هذا التأثير بوضوح في منطقة عسير التي عرفت تاريخيا باسم "جرش" أو "السراة"، وهي تقع في الجهة الجنوبية الغربية من الجزيرة العربية، وتشمل مناطق واسعة من تهامة وجبال السراة وسفوحها الشرقية، وقد اختلفت المصادر في تحديد حدودها، فمنها ما حدها بحدودها الجغرافية الطبيعية المتميزة بوعورة تضاريسها، ومنها ما جعلها تمتد بامتداد القبائل التي انتسبت إليها، ومنها ما ربط اتساع رقعتها الجغرافية، أو انكماشها وفقاً لمدى قوة النظام السياسي الذي يحكمها أو ضعفه (النعمي، 1419). وكانت القبائل فيها منتشرة من بلاد بللحمر، ومحائل شمالًا إلى بلاد قحطان ودرب بنى شعبة جنوباً، ومن بلاد شهران شرقاً إلى ساحل البحر الأحمر غرباً، حيث تعيش داخل حدود سلسلة جبال السراة الممتدة من ثقيف بالطائف شمالا وحتى تخوم اليمن (النعمي، 1419).

وتميزت عسير بتضاريس متنوعة تشمل منطقتين جغرافيتين أساسيتين هما: تهامة والسراة، تمثل تهامة المنطقة الساحلية على طول البحر الأحمر، وتشمل جبال فيفا، وبني مالك والريث في الجزء الجنوبي، وجبل قيس وغيره بمنطقة رجال ألمع بالقسم الشمالي، إضافة إلى الأودية المنحدرة نحو البحر والسهول الساحلية، أما السراة فهي منطقة جبلية انكسارية يتراوح ارتفاعها ما بين 2000 في مدينة أبها إلى 3666 متر فوق سطح البحر على قمم جبال السودة، وتنحدر بشدة نحو تهامة نحو الغرب، ولا يمكن ارتقاؤها من الغرب إلا عبر عقبات (طرق جبلية وعرة) أشهرها عقبة شعار وتنومه . وعلى سفوح جبال السراة الشرقية تقع هضبة عظيمة تشمل مدن عديدة منها طريب والعرين وتثليث (النعمي، 1419). وعلى الرغم من وعورة جبال عسير الشاهقة، إلا أن لديها تنوع تضاريس بين الجبال والسهول والوديان والهضاب ووفرة أمطارها الموسمية واستقرار قبائلها في أرجاء المنطقة ومعرفتهم بمسالكها جعلهم يتمتعون باستقلالية ميزتهم عن بقية مناطق المملكة حتى أنه كان يطلق عليها في الماضي " الحاجز ما بين الحجاز واليمن" ليحمني كلاً منهما من التعدي على الآخر. وساعد هذا الموقع الاستراتيجي وإطلالتها على البحر الأحمر في زيادة في النشاط الاقتصادي والتجاري، إذ كانت تربط سكانها بشبكة واسعة من الموانئ والمدن الداخلية والخارجية مع تنوع المناخ بين المناطق التهامية والسروية مما وفر انتشار المزروعات والثروة الحيوانية والغابية، وساعد على تنوع الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية وبالتالي المساهمة في استقرار السكان وتمكينهم من الاكتفاء الذاتي (النعمي، 1419). وكما ساعدت طبيعة المنطقة على استقلاليتها فهذا الموقع على أعالي الجبال وبطرق وعرة شكل درعًا طبيعيًا منيعًا أمام القوات الغازية، فكان من الصعب على الجيوش النظامية مثل القوات العثمانية التغلغل في تلك الجبال والسيطرة على القبائل المحلية (البيشي، 2020) لذلك وصفها سليمان باشا الحاكم العثماني بعسير إن هذه التضاريس كانت عقبة كبرى في محاولتهم للسيطرة على قوات عسير، فاسم " عسير " مشتق من كلمة " العسر" أو " الصعوبة " وهذا يعود إلى قسوة طبيعتها الجبلية وقد يكون أيضاً بسبب صلابة سكانها وبسالتهم في الدفاع عن أرضهم (Alqahtani,2012)

وبالرجوع لرؤية لسنن ابن خلدون نستخلص أن أهل الجبال أكثر واشدة بأسا من أهل السهول؛ لأنهم أقرب إلى البداوة وأبعد عن الترف حيث تتسق طباعهم مع الطبيعة الجغرافية القاسية المحيطة بهم. وقد فسر ابن خلدون هذه العلاقة بين الطبيعة وطباع

ISSN: 2706-6495

البشر بقوله: في القرى لوا الأرياف وتفنقوا النعيم[1] و آلفوا عوائد الخصب في المعاش والنعيم نقص من شجاعتهم بمقدار ما نقص من توحشهم وبداوتهم" (ابن خلدون، 2021، ص 81) وينسجم هذا مع ما شهده إقليم عسير، حيث أسهمت البيئة الجبلية على نشأت شعوبًا قوية العصبية جديدة الاستقلال ترفض الخضوع للأجنبي، وهذا ما ينطبق على سكانها، حافظوا على استقلالهم الذاتي واتسموا بالشجاعة والتماسك في وجه الحملات العثمانية وحتى بعد نجاح الحملة العثمانية الرابعة واستيلائها على مدينة أبها فقط لم تتوقف مقاومة القبائل المحلية التي تمركزت في القرى المحيطة بأبها حتى خروج العثمانيين عام 1919 م، وهو ما يتفق مع تصور ابن خلدون بأن "الأعرق البداوة و الأكثر توحشاً كان أقرب إلى التغلب على سواه إذا تقاربا في العدد و تكافؤ في القوة والعصبية" (ابن خلدون، 2021، ص 81)

وأظهرت الدراسة أن الطبيعة الاجتماعية القبلية في عسير مبنية على روابط الدم والانتماء المناطقي، والتي أسهمت في تكوين عصبية محلية متماسكة جعلت القبائل تتكاتف في مقاومة العثمانيين ولا سيما في المعارك التي شهدتها أبها والسقا وريدة، وقد كان لهذه التضاريس الجبلية والطرق الوعرة دورًا حاسمًا في تمكين المقاتلين من شن حروب الكر والفر ضد العثمانيين، مما أضعف قدرتهم على السيطرة الدائمة، وأشار البيشي إلى أن عسير كانت خط الدفاع الأول عن الحرمين الشريفين من الجهة الجنوبية وإن مقاومتها للاحتلال العثماني لم تكن مجرد صراع سياسي بل تجسيد روح العصبية الإقليمية القائمة على حماية الأرض والدين، وهو ما ينسجم مع تصور ابن خلدون أن العصبية تتجلى في الدفاع عن الأوطان عندما تتعرض الأمة للخطر(البيشي،2020).

لذلك البيئة الجغرافية الجبلية في عسير لم تكن مجرد عنصر طبيعي، بل كانت عنصرًا فعالا في تشكيل الوعي الجمعي والعصبية الدفاعية لأهل المنطقة؛ مما جعل مقاومتهم تجسيداً لتفاعل المكان مع الإنسان والعصبية مع الجغرافيا.

السنة الثالثة: "الظلم مؤذن بخراب العمران"

الفساد ظاهرة إنسانية قديمة قدم الإنسان نفسه، فمنذ أن خلق الله عز وجل الأرض عُرف الفساد بأنواع وأساليبه المختلفة، ولا يكاد يخلو عصر من العصور من هذه الظاهرة، فالفساد كغيره من مفاهيم الخير والشر كل منهما مرتبط بالنفس البشرية والطبيعية الإنسانية منذ بدء الخلفية (الشهري، ٢٠١٧) قال تعالى (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ)[البقرة:30]، ويشير ابن خلدون إلى خطورة الفساد الأخلاقي المتمثل في الظلم والعدوان وأخذ أموال الناس بالباطل، ويجعله سببًا في حدوث الفساد على الدولة و انهيارها .

"إن الفساد مؤذن لخراب العمران، كما أنه مؤذن بانقطاع النوع البشري؛ لذلك تمثلت الحكمة العامة في الشرع في حفظ المقاصد الضرورية الخمسة: الدين والنفس والعقل والنسل والمال، وحفظها لا يكون إلا من خلال تطبيق حكم الله وشرعه" (ابن خلدون، 2021، 237)

ويؤكد ابن خلدون أن بقاء العمران مرهون بتحقيق العدل، لأن الظلم هو العامل الذي يضعف دعائم الدولة ويفكك روابط المجتمع، ويشير أيضًا إلى أهميةِ القضاء كونه من الله تعالى، فهو الميزان الذي يعدل عليه أحوال الناس في الأرض، وبإقامة العدل في القضاء وبالعمل تصلح أحوال الرعية، وتأمن السبل، وينتصف المظلوم، وتأخذ الناس حقوقهم، وتحسن المعيشة،

[1] تفنقوا النعيم: مصدرها الفعل تفنق، ويعني ترفّهوا أو تباهوا، أي عاشوا في رفاهية وبذخ

ويؤدي حق الطاعة، ويرزق من الله العافية والسلامة، ويقيم الدين، ويجرى السنن والشرائع في مجاريها (ابن خلدون، 1979)، وهذا امتثال لقول الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: (وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿85﴾ بَقِيَّتُ اللَّـهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿86﴾) الشعراء.

كما "أن العدوان على الناس في أموالهم والظلم لهم يذهب بآمالهم في التحصيل والاكتساب، وعلى قدر الاعتداء يكون انقباض الرعية عن الكسب، فإذا كان الاعتداء كثيرًا عامًا في جميع أبواب المعاش، كسدت أسواق العمران وانتقضت الأحوال، وخرّبت الضياع وقلت الأموال، وهلكت الجنود والرعية، وطمع الأعداء في الدولة بسبب ضعف مواردها "(ابن خلدون، 2021، 240).

ويرى ابن خلدون إن استمرار الدولة مرتبط ارتباطًا وثيقًا بالأخلاق والعدل، فإذا فسدت أخلاق الحاكم أو بطانة دولته، أو وقع الاعتداء على حقوق الرعية في أموالهم وأعمالهم، فإن ذلك يؤدي إلى انهيار العمران وسقوط الدولة. ويوضح ابن خلدون أن الفساد المالي والإداري في الدولة يؤثر في مواردها الاقتصادية، فعندما "ينقص العطاء من السلطان، فيضعف الخراج والجباية، فتقل نفقات الحاشية والسواد، فيحدث الكساد في الأسواق، وتضعف الأرباح في المتاجر، مما يؤدي إلى تراجع العمارة وانقطاع موارد الدولة، إذ الدولة هي السوق الأعظم للعالم" وقيامها مرتبط بصرف الأموال وفق المصالح، فإذا تعطل هذا النظام المالي تعطل معه النشاط الاقتصادي والاجتماعي (ابن خلدون، 2021، 236).

ـ تطبيق سنة "الظلم مؤذن بخراب العمران" ومحاربته بالمجتمع السعودي

أن فكر ابن خلدون المتمثل في ضرورة قيام الدولة على العدل والأخلاق وجد صداه بالمجتمع السعودي في جميع مراحله، وسنتناول هنا استراتيجيات محاربة الظلم وتحقيق العدل والنزاهة في مرحلتين مختلفتين هما:

1. نهج الملك عبد العزيز عند تأسيس المملكة العربية السعودية في محاربة الظلم:

اعتمد الملك عبد العزيز على استراتيجية العدل والمساواة كأساس للسياسة والإدارة عند تأسيس الدولة السعودية الثالثة، فقد مر التنظيم الإداري أثناء مرحلة التأسيس على مرحلتين مختلفتين متمايزتين:

المرحلة الاولى ظل كل إقليم محتفظًا بنظامه الإداري مرتبط بتقاليد وأعراف المجتمع المحلي.

المرحلة الثانية حيث بدأ التغيير الجذري في التكوين التنظيمي للإدارتين المركزية والمحلية بدءًا من الحجاز (الفوزان، ٢٠١٢).

ولا تكون الدولة قائمة على العدل والأخلاق ألا بتوفر بعض الصفات في حاكمها، حددها ابن خلدون في أربع صفات: "العلم، العدالة، الكفاية، سلامة الحواس والأعضاء. مؤكداً أن هذه الصفات مؤثرة في الرأي والعمل، واختلف في شرط خامس وهو النسب القرشي" ويستبدلها ابن خلدون بالعصبية صحيحة النسب (ابن خلدون، 1979) فاعتبر لذلك أن الملك عبدالعزيز طيب الله ثراه كان نموذجاً لفكر ابن خلدون في صفات الملك كان قوي الإيمان معتمد على العدل والمساواة المستمدة من الشريعة الإسلامية وحرصه على تطبيقها، فكان رحمه الله عالمًا بالشرع منفذًا لأحكام الله تعالى، وبرز ذلك خلال موقفه عند دخوله مكة المكرمة سنة 1343هـ / 1924م: «لا كبير عندي إلا الضعيف حتى أخذ الحق له، ولا ضعيف عندي إلا الظالم حتى أخذ الحق منه، وليس عندي في إقامة حدود الله هوادة ولا يقبل فيها شفاعة. » (كشك، 1980). وتميز الملك عبد العزيز بالعدل دون تفريق بين الصغير والكبير أو القوي والضعيف، فالجميع أمام الشرع سواء، وكل فرد له حقوق وعليه واجبات.

ISSN: 2706-6495

وقد أشاد الريحاني في كتابه "ملوك العرب" (1924) بقدرة الملك عبد العزيز على نشر الأمن والعدل في الإمارات العربية التي وحدها بعد ان عانت لعقود طويلة من الانقسامات والحروب. كما وصف الريحاني الملك عبد العزيز بأنه كان يراقب شؤون حكمه بنفسه، حتى في التفاصيل الصغيرة، ويولي اهتمامًا كبيرًا لمعرفة ما يحدث في مملكته ويجتهد في استشعار مواضع الخطأ وتصحيحها في الوقت المناسب. فقد لاحظ الريحاني كيف أن الملك كان يراقب حركة رجاله وخدماته ويرجع لكل قضية حقها من التدقيق، حتى إنه كان يرفع منظاره ليرى أبسط التفاصيل في مجلسه، معتبراً أن العدل يبدأ بالأمور الصغيرة قبل الكبيرة، وأن من لا ينصف في مثل تلك التفاصيل لن يستطيع إنصاف الناس عامة، وهو موقف يعكس فهمه العميق لأهمية تطبيق الأوامر والتعليمات في سير شؤون الحكومة ومعالجة الأخطاء فورًا لضمان العدالة والأمن في المجتمع. ويرى ابن خلدون أن العدل شرطاً دينياً في الحاكم، وهذا ما كان واضحا وجليا في شخصية الملك عبد العزيز، وينطبق كذلك على سائر الصفات. ان الشرط الخامس المتمثل في النسب فإن الملك عبد العزيز ينحدر من عائله آل سعود التي حكمت إمارة الدرعية منذ القرن 18م، وهم ينتمون لقبيلة بني حنيفة العربية القديمة، والتي تنتمي إلى بني بكر بن وائل، والتي تنحدر من فرع ربيعة الكبير من قبائل العدنانيين، وهو اتحاد قبلي يقع تاريخيًا في نجد، وتعود جذور آل سعود إلى عصور قديمة في قلب شبه الجزيرة العربية، ولهم تاريخ عريق ونسب أصيل (وزارة الخارجية، 2025)

لقد تبنى الملك عبد العزيز سياسة الباب المفتوح والمجالس المفتوحة للتواصل المباشر بين المواطن والمسؤول وهو نهج إسلامي مأثور، حيث إن الاتصال المباشر مع الشعب يقلل من فساد المسؤولين ويزيد من شفافية الحكم فمجالسه الخاصة والعامة تعقد بشكل يومي، ومن يريد مقابلته لا يمنع عنه ابدًا، بل أن سياسته امتدت وتوسعت لدرجة حرص الملك على الذهاب إلى الناس في مدنهم وصحاريهم لتفقد حاجاتهم والاستماع إلى شكواهم. ويرى بعض الباحثين في هذا الاتصال المباشر سببًا في سيطرة الملك عبد العزيز على الفساد، فحقيقة السلطان أنه المالك للرعية القائم في أمورهم عليهم، فالسلطان من له رعية والرعية من لها سلطان (ابن خلدون، 1979) وقال متحدثًا عن ذلك: «قد يتساءل متسائل من يحميه من الخطأ الذي يفسد القلوب؟ من يحمي العدل من تجاوزات مسؤول بعيد عنه أو قريب منه، زور الحقيقة؟» (الفوزان، 2012، 324).

و يفسر ابن خلدون رؤيته حول عدل الحاكم وحكمته بوصفه قائلاً: "واشتد في أمر الله عز وجل وتورع عن النطق وامض لإقامة الحدود وأقل العجلة وابعد عن الضجر والقلق واقنع بالقسم وانتفع بتجربتك وانتبه في صحتك واسدد في منطقك وأنصف الخصم وقف عند الشبهة وأبلغ في الحجة ولا يأخذك في أحد من رعيتك محاباة ولا مجاملة ولا لومة لائم وتثبت وتأن وراقب وانظر وتفكر وتدبر واعتبر وتواضع لربك وارفق بجميع الرعية وسلط الحق على نفسك ولا تسرعن الى سفك الدماء فإن الدماء من الله عز وجل بمكان عظيم انتهاكا لها بغير حقها" (ابن خلدون، 1979، 257)

أما الصفة التي تميز الملك وتسمى "المُلكة" فيشير ابن خلدون إلى أنه إذا كانت هذه الملكة وتوابعها من الجودة حصل المقصود من السلطان على أتم الوجوه" (ابن خلدون، 1979) وهذا ما جعل الملك عبد العزيز أكثر قربا من الشعب كون الدولة كانت في أول أمرها بدوية الطبائع فكان صاحبها على حال الغضاضة والبداوة والقرب من الناس وسهولة الإذن (العصيمي، 2023، 241) كما أكد الملك عبد العزيز رحمه الله على أهمية التواصل مع الشعب دون وسائط ولا حواجز، حيث يقول: «إن التباعد بين الراعي والرعية يدع مجالًا للنفعيين فيحولون الحق باطلا ويصورون الباطل حقا، إذ لم تكن هناك صلة بين ولاة الأمور والأهالي فاختلاط الرعية مع الحكام يقضي على أولئك النفعيين من جهة، ويسهل الأمور ويحل المشكلات من جهة ثانية، فليس بيننا وبين أحد حجاب فالدين لا يأمر بالاعتزال والشرف لا يأمر بالابتعاد عن الناس» (الفوزان، 2012، 324).

ISSN: 2706-6495

أما الملك، فمن خلال منهج ابن خلدون الاستقرائي في التعرف على الوقائع الاجتماعية، فإن "الحجابة لا تكون في بداية الدولة، لأن الدولة في أول أمرها تكون بعيدة عن منازع الملك، والبداوة هي شعار العصبية، والدولة وإن كان قيامها بالدين، فإنه بعيد عن منازع الملك، وإن كان قيامها بعز الغلب فقط، فالبداوة التي يحصل الغلب بعيدة أيضًا عن منازع الملك ومذاهبه" (العصيمي، 2023، 241) وفي العصر الحاضر تطورت طرق وأساليب التواصل مع العامة، إلا إن الجوهر الفكرة التي عرضها ابن خلدون يبقى قائما في كل زمان وهو أن قرب الحاكم من الناس أساساً هاماً في استقرار الدولة وعدلها، فالاختلاط بالعامة وخدمتهم أمران قد يجتمعان أو يتفرقان وهما من أصعب مهام الحاكم، ويرى ابن خلدون أن هذا الحجاب لا يقع إلا في أواخر الدولة، ويجده دليلًا على هرم الدولة ونفاذ قوتها". (العصيمي، ٢٠٢٣).

ورغم ما عرف عن الملك عبد العزيز من كرم وسخاء، إلا أن ذلك لم يمنعه من ضبط موارد الدولة وصيانتها وحفظ المال العام وحمايته؛ إذ يرى ابن خلدون" أن الاعتداء على أموال الناس يذهب عنهم آمالهم في تحصيلها واكتسابها، وإذا ذهبت آمالهم في اكتسابها انقبضت أيديهم عن السعي في ذلك" (ابن خلدون، 1979) وفقدوا دافع السعي وتعطلت مصالح الدولة لهذا كان الملك عبد العزيز حريص على المتابعة الدقيقة للشؤون المالية العامة، مراقبا لأوجه الصرف والسادة لكل طرق الفساد والتلاعب كما حرص على استقلال مالية الدولة فمنع أبنائه من التدخل فيها ووجه المسؤولين للالتزام بالأنظمة ومنع أمراء المناطق من التدخل إلا في حدودِ الأمور المنوطة بتخصصهم الإداري، وراقب عمال الزكاة بدقة لمنع أي تلاعب في تحصيلها (الفوزان، 2012) كما أن ضبط الملك عبد العزيز رحمه الله لموارد الدولة وصيانتها لم يكن نابعا من الحرص المالي فحسب بل من الإدراك العظيم بأهميتها في استقرار الدولة وحماية عمرانها وهي أحد أهم الوظائف الضرورية للملك كما يراها ابن خلدون، وصورة من صور العمران، لأن فسادها فساد للعمران كله، لذلك "على الدولة القيام بأعمال الجبايات وحفظ الحقوق في الدخل والخرج، واحصاء العساكر بأسمائهم وتقدير أرزاقهم وصرف أعطياتهم في وقتها" (ابن خلدون، 1979).

وهذا ما انتهجه الملك عبد العزيز رحمه الله حيث جاء في أحد رسائله: "إذا ألف على القبيلة وخرصوهم كل قبيلة أو شخص يكتبون أخراصهم في ورقة من الأوراق التي معهم ويسلمونها لطالبها سوى أنه شخص بنفسه أو أمير القبيلة، أما الشخص يعطى ورقة على قدر خراصه، وأما أمير القبيلة يعطى ورقة على قدر أخراص جماعته حتى إذا أرادت الحكومة الجباية أو باعت المحصول على أحد يقابل به راعي المال المشتري أو القابض حتى لا يزاد عليه شيء مهوب عليه من الخراص وجميع من زيد عليه أو ظلم ولا رافع أمره للحكومة فهو ظالم لنفسه" (الشهري، 2017، 329).

وقد أشار ابن خلدون إلى أهمية هذه الوظيفة (ديوان الأعمال والجبايات)"فلا تخلو أي دولة من أنظمة جباية الأموال، فهي في طور التأسيس تعتبر قليلة" وتحديداً في النظام الاقتصادي الإسلامي، ويفرق أبن خلدون بين الجباية في أول الدولة وأخرها "ففي بدايتها تكون الجباية قليلة الوزائع كثيرة الجملة، وأخرها تكون كثيرة الوزائع قليلة الجملة؛ ويفسر السبب في ذلك أن الدولة إن كانت على سنن الدين فليست إلا المغارم الشرعية من الصدقات، والخراج والجزية، وهي قليلة الوزائع " (ابن خلدون، 1979).

امتدادا لنهج الملك عبد العزيز رحمه الله في إرساء مبادئ العدل وصيانة المال العام تبنت المملكة العربية السعودية هذا النهج القائم على مكافحة الفساد الإداري والمالي بهدف تعزيز النزاهة والشفافية وحماية المال العام، وذلك من خلال استراتيجيات وطنية مستدامة وتشريعات داعمة، ومؤسسات متخصصة إلى جانب تمكين الجهات القضائية لضمان التطبيق الفعال لهذه السياسات (الشمري، ٢٠٢٥).

ويرتبط مفهوم الفساد ببعدين مالي واداري، حيث يعرف الفساد المالي، بانه كافة الانحرافات في المعاملات المالية والاقتصادية المخالفة لأحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية في الدولة ومؤسساتها وعلى نطاق أفرادها، وتؤدي إلى أكل أموال الناس بالباطل، وإلى عدم استقرار المجتمع (الشهري، ٢٠١٧). أما مفهوم الفساد الإداري: جميع المحاولات التي يقوم بها المدراء والعاملون بوضع مصلحتهم الخاصة فوق المصلحة العامة متجاوزين القيم التي تعهدوا باحترامها وخدمتها والعمل على تطبيقها. (فخر الدين، 2025،42). ويمكن التمييز بين الفساد المالي والإداري من خلال طبيعة أفعال الفساد، ففي حين يتمثل الفساد المالي في سرقة أموال المجتمع ونهبها، فإن الفساد الإداري ينصرف إلى مخرجات دوائر الدولة من نتائج يفترض تحقيقها بواسطة الإمكانيات المختلفة من مالية وبشرية ولوجستية إلى جانب الصلاحيات الموضوعة تحت تصرفها (فخر الدين، 2025،45)

وعند النظر إلى الفساد من منظور ابن خلدون ينظر إليه على أنه: حصول النقص في العمران (المجتمعات) ناتج عن الظلم والعدوان، كما أن الظلم ليس محصورًا فقط في أخذ المال أو الملك، بل هو أشمل من ذلك "كل من أخذ مُلك أحدٍ أو غضبه في عمله أو طالبه بغير حق أو فرض عليه حقًا لم يفرضه الشرع فقد ظلمه، فجباة الأموال بغير حقها ظلمة، والمعتدون عليها ظلمةٌ، والمنتهبون لها ظلمة، والمانعون لحقوق الناس ظلمة، وغُصاب الأملاك على العموم ظلمة، ووبال ذلك كله عائد على الدولة بخراب العمران الذي هو مادتها لإذهابه الآمال من أهله" (ابن خلدون، 1979).

ويرجع ابن خلدون أسباب الفساد إلى عوامل متعددة تختلف باختلاف البيئات والثقافات ألا أن هناك أسباباً قد تتواجد في غالبية المجتمعات، أبرزها الظلم: بوصفه "العدوان على الناس في أموالهم ذاهب بآمالهم في اكتسابها وحرصهم على تحصيلها، إذ يرى المقتني أنّ غرضه في ذلك إنّما هو تحصيلها ليتصرف فيها بالإنفاق في وجوهه، فإذا اختُطف ذلك منه اعتُاض عن السعي في تحصيلها بالكسل، وكسدت الأسواق، وفسد العمران. وإنّ الرعايا إذا كُلِّفوا في العمل في غير شأنهم واتُّخذوا سُخريًّا في معاشهم بطل كسبهم، وفسد عمرانهم"(ابن خلدون، 1979) كما أن تكرار ذلك يؤدي الى انتقاض العمران وتخريبه، ويشير ابن خلدون إلى "أن الظلم لا يقدر عليه إلا من لا يُقدر عليه، لأنه إنما يقع من أهل القدرة والسلطان"، قال تعالى ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: 46]

أما السبب الثاني للفساد فهو البطر في المعيشة: الناتج عن الترف الحضاري، فيقول: "إن الأخلاق الحاصلة من الحضارة والترف هي عين الفساد" (العصيمي، 2023، 314)، لأن الإنسان إنما هو إنسان باقتداره على جلب منافعه ودفع مضارة، واستقامة خلقه للسعي في ذلك، ولكن عندما يصبح الإنسان مترفًا في المعيشة متحضرًا فهو لا يقدر على مباشرة حاجاته، إما عاجزًا لما حصل له من الدعة، أو ترفعًا لما حصل له من النعيم (العصيمي، 2023).

السبب الثالث للفساد وهو الفسق: الذي يربطه ابن خلدون بنهاية العمران بالحضارة وأنها مؤذنة بفساده، حيث ينتشر التفنن في الترف والكلف في الصنائع، وما يتبعها من طاعة الشهوات، فتتلون النفس من تلك العوائد بألوان كثيرة لا يستقيم حالها معها في دينها ولا دنياها، وأن كثر ذلك في المدينة أو الأمة تأذن الله بخرابها وانقراضها (العصيمي، 2023) وهو معنى قوله تعالى: ﴿وإذا أردنا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا القول فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء:16].

ومن هذا المنطلق جاءت الاستراتيجية الوطنية لحماية النزاهة ومكافحة الفساد في المملكة لتترجم هذا الفهم الواقعي لطبيعة الفساد وأسبابه، فهي تستند أولًا إلى النظام الأساسي للدولة المستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية، مما يعزز الالتزام بالقيم الدينية والأخلاقية في مواجهة الفساد، وتعتمد ثانياً على التنسيق الفعال بين الأجهزة المتخصصة، من خلال آليات نظامية تضمن

الوقاية من الجرائم قبل وقوعها وتعزز التكامل بين الجهات المعنية (الشمري، 2025،519).

2. نهج المملكة العربية السعودية القائم على الشفافية والمساءلة في مكافحة الفساد في عهد الملك سلمان

وفي سياق تطبيق هذا النهج القائم على مكافحة الفساد وترسيخ قيم العدالة والنزاهة التي أكد عليها ابن خلدون، جاء تأسيس هيئة الرقابة ومكافحة الفساد، والمعروفة سابقًا بالهيئة الوطنية لمكافحة الفساد كأحد أهم مظاهر التطور المؤسسي في المملكة العربية السعودية. فقد تم إنشاءها بموجب قرار مجلس الوزراء رقم (165) بتاريخ (1432/5/28هـ)، وتم تنظيمها بموجب المرسوم الملكي رقم (م/25) بتاريخ (1446/1/23هـ)، وتتمثل اختصاصاتها في تنفيذ سياسات مكافحة الفساد (هيئة الخبراء بمجلس الوزراء، 2024).

وترتبط الهيئة مباشرة بالمَلك، وتتمتع بالشخصية الاعتبارية والاستقلال المالي والإداري، وتشمل مهام الهيئة كافة القطاعات الحكومية، وتسند إليها مهام متابعة تنفيذ الأوامر والتعليمات الخاصة بالشأن العام، ويدخل في اختصاصها متابعة أوجه الفساد الإداري والمالي، إضافةً إلى تزويد الهيئة بكافة الأوامر ذات الصلة بمهامها، وعلى جميع الوزارات والمؤسسات والمصالح الحكومية وغيرها الرفع للهيئة بكل المشاريع المعتمدة لديها وعقودها، ومدة تنفيذها، وصيانتها، وتشغيلها (نزاهة، ٢٠٢٥).

وتُعنى الهيئة بالرقابة الإدارية على الجهات العامة، وحماية النزاهة وتعزيز الشفافية، ومكافحة الفساد؛ وتشمل اختصاصاتها (هيئة الخبراء بمجلس الوزراء، ٢٠٢٤):

1) إجراء الرقابة اللازمة للكشف عن المخالفات الإدارية وجرائم الفساد
2) تلقي الشكاوى والبلاغات المتصلة بالمخالفات الإدارية، وجرائم الفساد، والتحقق من صحتها، واتخاذ ما يلزم
3) مباشرة التحقيق في المخالفات الإدارية والمالية وجرائم الفساد، وإقامة الدعوى فيها أمام المحكمة المختصة، واتخاذ ما يلزم في شأنها، وذلك وفقاً للنصوص النظامية ذات الصلة.
4) مباشرة الاستدلال والضبط الجنائي في جرائم الفساد، واتخاذ ما يلزم في شأنها؛ وفقاً للنصوص النظامية ذات الصلة.
5) متابعة استرداد الأموال والعائدات الناتجة عن ارتكاب أي من جرائم الفساد، مع الجهات المختصة، واستكمال ما يلزم نظامًا في هذا الشأن.
6) اتخاذ التدابير الاحترازية والتحفظية في شأن من توافرت أدلة أو قرائن على ارتكابه جرائم فساد؛ وفقاً للنصوص النظامية ذات الصلة.
7) اتخاذ جميع الإجراءات لتوفير الحماية اللازمة لمن يبلغ أو يدلي بمعلومات عن أي من المخالفات الإدارية أو جرائم الفساد؛ وفقاً للأحكام المنظمة لذلك.
8) اقتراح الأنظمة والسياسات ذات الصلة بالرقابة الإدارية وحماية النزاهة وتعزيز الشفافية ومكافحة الفساد، واقتراح تعديل القائم منها، والرفع عنها؛ بحسب الإجراءات النظامية.
9) متابعة تنفيذ التزامات المملكة الواردة في الاتفاقيات الدولية المتعلقة بالرقابة الإدارية وحماية النزاهة وتعزيز الشفافية ومكافحة الفساد، والتنسيق في شأنها مع الجهات ذات العلاقة.
10) جمع المعلومات والبيانات والتقارير والإحصاءات المتعلقة بالمخالفات الإدارية وجرائم الفساد، وتصنيفها، وتحليلها، وبناء قواعد بيانات وأنظمة معلومات خاصة بذلك. ونشر ما يستوجب النشر منها بما لا يتعارض مع سرية المعلومات ولا يخل بما تقضي به الأنظمة واللوائح ذات الصلة.

ISSN: 2706-6495

ويمثل هذا النهج استمرارية لسياسة ملوك المملكة في مختلف العصور، وصولا إلى رؤية المملكة 2030 التي أكدت على مبدأي الشفافية والمساءلة كمرتكزين أساسيين في مكافحة الفساد، في تجسيد عملي لأحد سنن ابن خلدون التي تقول: "أن الظلم مخرب للعمران، وأن عائدة الخراب في العمران على الدولة بالفساد والانتقاض" (ابن خلدون، 1979).

وتقوم الشفافية على تصميم وتطبيق النظم والاليات والسياسات والتشريعات وغير ذلك من الأدوات التي تكفل حق كل طرف من أطراف المؤسسة، أما المساءلة تعني تمكين المواطنين وذوي العلاقة من الأفراد والمنظمات من مراقبة العمل، دون أن يؤدي ذلك إلى تعطيل العمل أو الإساءة للغير (المروان و أبو خشبة، ٢٠٢١).

وقد عبر سمو ولي العهد الأمير محمد بن سلمان آل سعود عن هذا المبدأ بوضوح حين قال: «لن ينجو أي شخص دخل في قضية فساد أيًا من كان، لن ينجو، سواءً كان وزيرًا أو أميرًا أو أيًا من كان، أي من تتوفر عليه الأدلة الكافية سوف يحاسب (نزاهة، 2025)» كما أكد خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود على أهمية ترسيخ هذا النهج قائلاً: «لقد حققت المملكة نجاحات متتالية في مكافحة الفساد، وهو نهج أضحى استراتيجية أساسية لدينا، بتكريس مبدأ الشفافية والمساءلة، وتتبع ومراقبة الأداء الحكومي وفاعليته (نزاهة، 2025)». ويعد هذا التوجه برهان عملي وواضح وصريح على ما ذكره ابن خلدون من خلال سننه عن أن قيام الدولة لا يستقيم الا بالعدل والأخلاق.

4. النتائج:

لقد توصلنا إلى أن السنن الاجتماعية التي وضعها ابن خلدون تمثّل إطاراً نظرياً متيناً لفهم تطوّر المجتمعات والدول، إذ تقوم على ثلاث مرتكزات: العصبية، العوامل الجغرافية، والعدل. وقد تبيّن أن هذه القوانين ليست مجرد نظريات تاريخية، بل سنن واقعية لا تزال تُفسّر نجاح الدول المعاصرة واستمرارها، وفي مقدمتها المملكة العربية السعودية.

فعلى مستوى العصبية الدينية، أظهر تاريخ الدولة السعودية الأولى تطابقًا مع سنّة ابن خلدون التي ترى أن "الملك لا يقوم إلا بالعصبية، ولا تستقر الدولة إلا إذا أُيّدت بالدعوة الدينية"، فقد تجسّد ذلك في تحالف الإمام محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب.

أما في جانب العوامل الجغرافية وتأثيراتها، فقد اتضح منظور ابن خلدون في فهم أثر البيئة والتضاريس في بناء الشخصية السياسية والاجتماعية، فالموقع الجغرافي لأقاليم المملكة، وما يمتاز به من صحراء وجبال وامتداد واسع، أسهم في تشكيل شعب قوي الإرادة، صبور في مواجهة الأزمات، متمسك بأرضه وهويته، كما ظهر في مقاومة العثمانيين، والذي ينطبق على ما ذكره ابن خلدون بأن "أهل الجبال أشد بأسًا وأقوى عصبية"، وهي السمة التي صاغت ملامح الشخصية السعودية.

وفي العدل ومكافحة الفساد، تبيّن أن فكر ابن خلدون القائل: "الظلم مؤذن بخراب العمران" يجد تطبيقه العملي منذ تأسيس الدولة السعودية الثالثة متمثلة في مؤسسها الملك عبد العزيز طيب الله ثراه، وامتداد لرؤية المملكة 2030، ولا سيما من خلال هيئة الرقابة ومكافحة الفساد (نزاهة) التي تمثّل الأداة المؤسسية لحماية الدولة من الانحراف والفساد الإداري والمالي وبذلك تحققت إحدى السنن ابن خلدون وهي أن "العمران لا يقوم إلا بالعدل"، حيث ترسخت قيم الشفافية والمساءلة ضمن الرؤية.

فالمملكة العربية السعودية في مسيرتها التاريخية والسياسية تُجسد منظور ابن خلدون، حيث استمدت الدولة قوتها من وحدة شعبها، وصلابة جغرافيتها، وعدالة نظامها، مما يحقق ما قاله قبل قرون "أن الملك يحصل بالتغلب، والغلب إنما يكون بالعصبية وهذه العصبية تكون بمعونة الله في إقامة دينه "(ابن خلدون، 2004، ص 205)

ISSN: 2706-6495

فينتج من فكر ابن خلدون انه ليس فكرًا ماضيًا، بل هو نظرية فاعلة وقادرة على تفسير الواقع السياسي والاجتماعي للدول المعاصرة.

5. التوصيات:

1. توصي الدراسة الجامعات السعودية بالتعاون مع المراكز البحثية لإجراء المزيد من الدراسات لفكر ابن خلدون وربط سننه وقوانينه الاجتماعية بالظواهر المعاصرة في المملكة العربية السعودية؛ مما يساعد على فهم التحولات الاجتماعية الحديثة، وتطبيقها على رؤية المملكة 2030 بتركيزها على الشفافية في مكافحة الفساد.
2. توصي الدراسة الباحثين في مجال علم الاجتماع السياسي بإجراء المزيد من الدراسات المقارنة التي تستخدم فكر ابن خلدون كأداة تحليلية لفهم مراحل تطور الدولة السعودية عبر تاريخها، وتفسير عوامل استمرارها واستقرارها السياسي.
3. لأهمية العدل في قيام المجتمعات وتطورها، توصي الدراسة مؤسسات المجتمع المدني للمساهمة في مكافحةِ الفساد عن طريق تصميم وتنفيذ مبادرات وبرامج مجتمعية تستهدف تعزيز قيم النزاهة والعدل لدى أفراد المجتمع.
4. لأهمية العامل الديني في تماسك أفراد المجتمع، توصي الدراسة الجمعيات المختصة بالقيم للمساهمة في تفعيل دورها من خلال تنفيذ مبادرات مجتمعية تهدف إلى ترسيخ القيم الدينية وتعزيز الهوية الإسلامية.

6. المصادر والمراجع:

1.6. المصادر:

القرآن الكريم.

الترمذي: حسن (3127) في التفسير

2.6. المراجع:

ابن خلدون، عبد الرحمن (1979). *تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر*. بيروت- لبنان: مؤسسة جمال للطباعة والنشر.

ابن خلدون، عبد الرحمن (1965)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر: المقدمة، تحقيق علي عبد الواحد وافي: لجنة البيان العربي.

ابن خلدون، عبد الرحمن (2004)، المقدمة، تحقيق حامد أحمد الطاهر: دار الفجر، القاهرة، مصر.

ابن منظور، (د/ت)، لسان العرب، مادة (عصب)، دار المعارف، القاهرة، مصر.

الجابري، محمد عابد، (1994)، *ابن خلدون العصبية والدولة معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي*، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان

أبو داود، عبد الرزاق (2001). *مدخل إلى الجغرافيا السياسية للمملكة العربية السعودية*. جدة: دار حافظ للنشر والتوزيع.

استيتو، محمد (2009) الجغرافيا وتفسير الظواهر الإنسانية في مقدمة ابن خلدون الظاهرة الدينية نموذجا، *مجلة الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة ابن طفيل القنيطرة*، العدد 9

البيباص، عادل محمد إبراهيم. (2025) الدولة والقوة السياسية في فلسفة ابن خلدون. *مجلة القرطاس* 3 (26) https://alqurtas.alandalus-libya.org.ly/ojs/index.php/qjhar/article/view/1182.

البيشي، جملاء (2020) الحملة العثمانية على منطقة عسير 1288-1289 هـ = 1871-1872 م، *مجلة القلزم العلمية*. مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر.

الريحاني، أمين. (1924). ملوك العرب. بيروت: الطبعة العلمية للنشر.

الشمري، أحمد محمد (2025). الجهود الوطنية والدولية لمكافحة الفساد المالي والإداري: دراسة تحليلية في ضوء النظام السعودي والاتفاقيات الدولية. *مجلة العلوم التربوية والدراسات الإنسانية*، 507-557.

الشهري، ليلى علي (2017). الفساد مكافحته، والوقاية منه (رؤية شرعية). *كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية*، 271-325.

العصيمي، عبد المحسن. (2023). *مختصر مقدمة ابن خلدون*. الرياض: قرطبة للنشر والتوزيع.

الفوزان، محمد براك (2012). *المفاهيم والأبعاد في الاستراتيجية الوطنية لحماية النزاهة ومكافحة الفساد*. الرياض: مكتبة القانون والاقتصاد، فهرسة الملك فهد الوطنية أثناء النشر.

الكهادي، مراد (2023) جغرافيا الفكر عند ابن خلدون وتنزيلها على القضايا الفكرية المعاصرة المغرب، *مجلة المعرف*، العدد 11

المروان، مصعب عبد الرحمن، وأبو خشبة، عبد العال هاشم (2021) دور الحوكمة في مكافحة الفساد المالي في وحدات القطاع العام في المملكة العربية السعودية: دراسة ميدانية. *المجلة العربية للآداب والدراسات الإنسانية*، مجلد 9، 125-189.

النعمي، هاشم. (1419هـ/1998م). *تاريخ عسير في الماضي والحاضر*. عسير

السنوسي، محمد (2024). نظرية العصبية عند ابن خلدون علاقتها بالنهوض الحضاري وأثرها الفقهي "دراسة تحليلية"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة قناة السويس، مجلد (7) العدد (50): 224-242، https://doi.org/10.21608/jfhsc.2024.420938

مسعود، محمد (2021). الحتمية الجغرافية التاريخية عند ابن خلدون العامل الجغرافي البحث، دورية الإنسانيات كلية الآداب جامعة دمنهور، مجلد 2022العدد (59) 137-166، https://doi.org/10.21608/ins.2022.280616

الكهاري، مراد (2023). جغرافية الفكر عند ابن خلدون وتنزيلها على القضايا الفكرية المعاصرة، مجلة المعرفة للدراسات والأبحاث، العدد (11)، 312- 335.

الدردساوي، ضياء (2025). تطور مفهوم الجغرافيا السياسية: من المفاهيم التقليدية إلى التوجهات المعاصرة، المجلة العربية للنشر العلمي، العدد (78)، 212-231، http://search.mandumah.com/Record/1568715

المقصود، أحمد محمد (2022). مفاسد في القضاء المملوكي رصدها ابن خلدون، المجلة العلمية لكلية الآداب جامعة أسيوط، مجلد 27 العدد (84)، 503-524، https://doi.org/10.21608/aakj.2022.271706

الشميري، حكيم. (2023) طابق الرؤى البينية بين النظريات الخلدونية والعلوم الشرعية الظلم مؤذن بسقوط الدول وخراب العمران. مجلة جامعة السعيد للعلوم الانسانية، مجلد 5 العدد (4), 41-79.
https://doi.org/10.59325/sjhas.v5i4.117

بوحفص، عبد القهار، وبطاهر، كريم (2024). الوازع الاجتماعي وتنظيم المجتمع القبلي حسب ابن خلدون، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مجلد8 العدد (2)، 814-834. https://asjp.cerist.dz/en/article/258109

بلعالية، محمد (2020). الأخلاق ومكانتها في النظرية السياسية الخلدونية، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، مجلد 21 العدد (1)، 657-670.
https://asjp.cerist.dz/en/article/122071

درنيقة، ريما (2018) *الوجيز في تاريخ المملكة العربية السعودية من النشأة حتى وفاة الملك عبد العزيز*، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس

زينب بو مهدي (2020)، مفهوم العصبية ونشأة الدولة في الفكر الخلدوني، *مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية*، المجلد 8 العدد (1)، جامعة مولود معمري تيزي وزو: الجزائر

عرابي، عبد القادر. (1981). ابن خلدون وعلم الاجتماع. مجلة كلية الآداب، (10).
https://doi.org/10.37376/jofoa.vi10.2830

فخر الدين، أيمن (2025). *تأليف جرائم الفساد ودور الذكاء الاصطناعي في مكافحته* (المجلد الطبعة الأولى). القاهرة: دار النهضة العربية للنشر والتوزيع.

كشك، محمد جلال (1980). *السعوديون والحل الإسلامي*. لندن: شركة مودي جرافيك.

مغربي، عبد الغني، (1988)، *الفكر الاجتماعي عند ابن خلدون*، تحقيق: محمد الشريف بن دالي حسين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

إستيتية، دلال. (2010). التغير الاجتماعي والثقافي. ط3. عمان: دار وائل.

هيئة المراقبة ومكافحة الفساد، نزاهة، (2025) تم الاسترداد من https://nazaha.gov.sa

هيئة الخبراء بمجلس الوزراء، المملكة العربية السعودية. (2024). تم الاسترداد من نظام هيئة الرقابة ومكافحة الفساد: https://www.boe.gov.sa/ar/Pages/default.aspx

وزارة الخارجية، المملكة العربية السعودية. (2025) تم الاسترداد من https://www.mofa.gov.sa/en/Pages/default.aspx

ISSN: 2706-6495

3.6. المراجع الأجنبية:

Alqahtani, Rajaa. (2012). Social change and women's work across three generations in Abha, Saudi Arabia (Doctoral dissertation, University of Surrey). University of Surrey Open Research Repository. https://openresearch.surrey.ac.uk/esploro/outputs/doctoral/99515992002346

Teita, R. (1976). *Revival of regional geography*. In *Regional Geography*. Moscow: Progress Publishers.

جميع الحقوق محفوظة © 2026، الباحثة/ خلود بنت محسن القثامي، الباحثة/ بيان بنت حامد الحربي، الباحثة/ مها بنت عطا الله الروقي، الدكتورة/ رجاء طه القحطاني، المجلة الأكاديمية للأبحاث والنشر العلمي (CC BY NC)

Doi: http://doi.org/10.52132/Ajrsp/v7.81.1